أثر نكسة حزيران على الشعب العربي في ضوء رواية" بوصلة من أجل عباد الشمس لليانة بدر: دراسة وصفية

سيد محمد عمر جيلاني[١]

ملخص البحث

تعد ليانة بدر من أعظم الكتاب والروائيين المعاصرين الذين لهم جولة وصولة في العالم العربي بإنجازاتهم الأدبية وأفكارهم الرائعة في حلول القضايا الاجتماعية والسياسية. جعلت الكتابة الأدبية سلاحا مهما للتعبير عن قضايا الشعب العربي بعدما خاضت في تجارب عديدة من الرواية والقصص والأفلام الوثائقية والسينما وما إلى ذلك. فلم تنحصر أعمالها الأدبية لبلد عربي فحسب، بل تعداها بأفكارها الرائعة إلى جميع أنحاء العالم العربي، وخير مثال على ذلك روايتها" بوصلة من أجل عباد الشمس "، إذ تعد هذه الرواية من أهم إنجازاتها الرائعة في جو اليأس والقنوط وفي بيئة الحرب والأمن. ستحتوي هذه المقالة على تصوير الأحداث السياسية والاجتماعية في المملكة الهاشمية الأردنية عقب أحداث أيلول عام ١٩٧٠م. إضافة إلى ذلك تلقي المقالة ضوء وافرا على معاناة المخيمين والمخيمات أثناء الحرب وبعده.

الكلمات المفتاحية: ليانة بدر – بوصلة من أجل عباد الشمس

نظرة عابرة على حياة ليانة بدر:

ولدت ليانة بدر عام١٩٥٢م في مدينة القدس، نشأت وترعرعت في حضن أدبية وعلمية وثقافية، ثم نزحت مع عائلتها إلى عمان عقب هزيمة ١٩٦٧م.، ثم نزحت

---

١ الباحث في الدكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر، الهند

مع عائلتها إلى المملكة الهاشمية الأردنية، وبدأت هناك كتابة القصة والرواية وعملت في الصحافة والإعلام وفي الأفلام الوثاقية حتى أصبحت كاتبة سيناريو الشهيرة وروائية الشعب العربي البارعة. جعلت الرواية والقصص القصيرة وسيلة سلاحا مهما للتعبير عن قضايا الشعب العربي وما يمر به الشعب من الأزمات والنكبات وما إلى ذلك. كانت مهتمة بالرواية والشعر والقصص القصيرة والسينما والرسم والأفلام الوثائقية اهتمام العاشق بالمعشوق واهتمام الأم الحنون بالولد الطريد. سكنت عشرات البيوت في حياتها وعاشت متجولة بين العديد من البلدان والأوطنة والمدن باحثة عن الهدوء والطمأنينة والراحة والسكون، غير عندما فشلت في البحث عن كل ذلك، جعلت شغلها الشاغل بالأدب لكي تعبر به عن الإنسان الحقيقي وحقه في الحرية والعدالة والمساواة، ولما عايشت مع أحداث لبنان المأساوية وأحداث المملكة الهاشمية المرة عام ١٩٧٠م المرة. أثرت هذه الأحداث على حياتها وأفكارها السياسية والاجتماعية. وجعلت الرواية فيما بعد مسرحها العالمي وفكرها الغالب على جميع أفكارها وأبعادها، حتى أصبحت منذ السبعينيات من القرن العشرين صوتا لم يكن مقتصرا على الرواية والقصص، بل تعدا هذا الصوت المؤلم إلى الشعر والمقالة والمسرحية والنقد وقصص الأطفال والأفلام والوثائق وما إلى ذلك، وبسبب إنجازاتها الأدبية الرائعة المتنوعة حصلت على الجوائز والشهادات من المهرجان الوطني والدولي ما لم يحصل أحد من معاصريها في الأدب.، ولم تزل تحصل على العديد من الجوائز والشهادات. ومن الأعمال الرائعة التي اشتهرت بها ليست في البلدان العربية فحسب، بل في معظم البلاد العالمية روايتها: "بوصلة من أجل عباد الشمس".

تحليل رواية "بوصلة من أجل عباد الشمس":

تعد هذه الرواية من أفضل روايات ليانة بدر. كتبت إثر أحداث أيلول١٩٧٠م بوعي اجتماعي ثوري واقعي للتعبير عن معاناة الإنسان المقيم في المخيمات خارج الوطن. استطاعت الكاتبة أن تعبر خلال أحداث هذه الرواية عن الأوضاع السياسية

والاجتماعية والثقافية التي أثرت على المجتمع العربي عامة وعلى الشعب الأردني والفلسطيني خاصة. إضافة إلى ذلك استطاعت من خلال أحداث هذه الرواية أن تصور هزيمة حزيزان ١٩٦٧م مشيرة إلى الأسباب والدوافع التي أفشلت العرب واضطرت سكانها للهجرة إلى المدن والقرى البعيدة. وهذا بجانب الأزمات والقضايا الاجتماعية التي تعاني بها المجتمع الأردني والفلسطيني في داخل الوطن وخارجها أثناء أحداث أيلول. وقد اهتمت ليانة بدر في هذه الرواية بقضية المرأة العربية اهتماما بالغا وجعلتها فكرة رئيسية لهذه الرواية، حيث اكتشفت فيها دور الفتيات في النضال ضد الاحتلال. وقد أضاءنا أهم المشكلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التى واجهها الشعب العربي ولا سيما الأردني والفلسطيني في مرحلة ما بعد النكبة كالفقر والحرمان والاغتراب والبيئة المتغيرة، ممثلة الصراعات التي كانت تعاني المرأة الفلسطينية من العادات القديمة والتقاليد البالية ومعبرة عن المجتمع الفلسطيني الجديد الذي كان يرتبط بحركية الثورة الفلسطينية في مستنقع الموت والدمار بفلسطين والأردن ولبنان في ظل الاغتراب المكاني والنفسي.

فالمكان هو المنفى الذي يبث في الناس شعورا اجتماعيا ضد الفضائح الإنسانية وسلب القضايا الاجتماعية، وهذا المنفى يخلق في الناس وعيا إنسانيا كاملا يقوم بإيقاظهم من الاحتلال والاستحصال والجهل والقتل والدمار. وأما الزمان فهي معركة مدمرة تعيد خلق الشخصيات من جديد. فأما المرأة الفلسطينية فأنها كانت تعاني في المنفى معاناة شديدة من التشرد والاستحصال والتخلف في مجالات الحياة كلها، وتعاني من قمع المجتمع الذكوري الذي يتجسد أفراده في الظلم والقهر على المرأة في جانب آخر. فليس هناك فرق بين أهل التنوير والمتخلفين. صورت الرواية صورة صادقة عن هذا الوضع الاجتماعي السائد على النساء الفلسطيني في المنفى محيطة بكل ما تعاني المرأة الفلسطينية من الظلم والقهر والتخلف في المجالات المختلفة في المنفى. إضافة إلى ذلك أن الكاتبة مثلت فيها خيبة المرأة الفلسطينية تجاه النظرية التقدمية التي طرحتها القوى الطليعية فيما يتعلق بإنهاض وضعها وتكريس حقوقها

وتنظيم أمورها في البيت مشيرة إلى الأسباب التي دفعت المرأة العربية ولا سيما الفلسطينية للنهوض ضد التقاليد البالية والعادات القديمة.

دراسة وصفية للرواية:

إن هذه الرواية ليست من الروايات التي تبرز فيها شخصية واحدة وتدور معظم أحداث الرواية حول هذه الشخصية الواحدة بل إنما هي رواية موضوعية تعرض مجموعة من الشخصيات وتستهدف بها إلى تصوير البيئة الاجتماعية للمرأة الفلسطينية في المنفى مشيرة إلى الصور العديدة التي عانت المرأة الفلسطينية في المنفى والتى جعلت العلاقة بين المرأة والرجل متناقضة، فبإمعان النظر يتضح لنا أن الرواية تمثل ثلاث شخصيات نسوية من جيل واحد عايشن هزيمة حزيزان١٩٦٧م وشاركن في أحداث أيلول حتى أصبحن مرتبطة بحركية الثورة الفلسطينية نفسها، والكاتبة استطاعت أن تعبر من خلال هذه الشخصيات النسوية عن المعاناة النفسية والاجتماعية التي واجهنها في المنفى من قبل الزوج والمجتمع تعبيرا صادقا مكتشفة وعي الرجال تجاه المرأة. وقد اختارت لتصوير المعاناة النفسية للمرأة الفلسطينية شخصية نسوية محورية وهي شخصية "جنان"(بطلة الرواية) التي عاشت في المخيم بلبنان وحيدا وكان زوجها لا يأتي إليها إلا لإطفار رغباته الجنسية. وكانت جنان تحب زوجها حبا لا بأس به غير أنها لا تنال الحب والاحترام من قبل الزوج بل أنها تنال من الزوج الغضب والظلم والقيد، وعندما تجاوز ظلم زوجها وقسوتها على جنان، تركت بعض شروط أنثويتها وانضمت مع أساتذة المعهد التعليمي مؤمنة بأنهم سيعطونها حق المرأة ويرشدونها نحو الهدوء والأمن غير أنها واجهت أيضا عقوبات وصعوبات مختلفة من قبل هؤلاء الأساتذة المثقفين حيث انهم كانوا يتلصصون على أجساد المرأة أحيانا ويتلاعبون معها أحيانا أخرى. فتوجهت جنان إلى الثوريين الذين يفضلون المرأة المحافظة التقليدية ويتحدثون عن الثورة وعن تحرر المرأة وعن انقلاب الموازين الطبقية في المجتمع معتقدين أن المرأة تخوض معهم في

تجارب الحب والجنس بجانب تجارب الثورة ضد العدوان، غير أنها وجدت هناك أن الشرطة الممثلين لسلطة الحكومة يعاقبون الفتيات المتظاهرات عقابا جسديا متلصصين على أجسادهن أحيانا ومتلاعبين معهن في جانب كما وجدت أن الرجل الثوري إذا تعب من مغامراته مع النساء المتحررات التفت إلى الزواج بإمرأة تقليدية، هذا ما فعله عامر وهو أحد الشخصية حيث انه كان يلاعب مع الفتيات الجميلات الفرنسيات اللواتي يعملن في السينما كممثلات، وهو يقول:" جميعهن يدن بالولاء لي، وأنا لا ولاء لي لواحدة منهن. وعندما أرجع نهائيا فسوف أتزوج فتاة تحسن إعداد الشاي بالميرميه والدجاج المسخن"١.

عانت جنان معاناة شديدة من الحب الذي جعل الرجل يريدها أنثى فقط، غير مؤمن بإنسانيتها واحترامها مما عمق من حقدها على جسدها الأنثوي، فقررت أنها ستتوب عن ارتقاء هضاب هذا الحب دافعة جسدها ليغدو قطعة مطاط يابسة محاطة بسدود الحقد والألم والدمار بعد أن فاضت عقدها، ولكن عندما شعرت أن الرجل يحاول افتراس أنوثتها تتمرد على هذه الأنثوية وتقص شعرها مثل شعور الفتية الفرنسية وتعري عينيها من الكحل الأسود وتلبس البنطلون الكاكي وتفكر بالصداقات العاطفية والغرامات الجنسية بدلا من الخطبة والزواج، وتحلم دائما أن تلد صبيا بدلا من صبية مخافة من الظلم والقهر الذي عانتها من قبل الزوج والمجتمع، هي تقول دائما:" أنا جنان التي تعودت أن تحلم بأن تخلق صبيا لا فتاة، كم أحسست أنى مثل الدجاجة، الهدف من تربيتها واضح ومخطط واقتصادي لذلك تحسد الرجل على تحررها من هذه القيود كلها"٢.

ثم تجد مرة أخرى حريتها في الانتماء إلى الثورة مؤمنة بأن أصحابها سوف

---

١ ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ص٢٣

٢ نفس المصدر، ص٥١

يتحدثون عن تحرر المرأة ويرفعون أصواتهم لنيل حقوق النساء، ولكن سرعان ما اكتشفت لها أن أصحاب الثورة يمثلون مجتمعا مخادعا مسكونا بالنظريات الذكورية الشهوانية لأجساد النساء لا غير، واكتشفت لها مخادع أصحاب الثورة بالوضوح عندما تغامر مع أحدهم وتذوق طعم الحب اكتشفت تناقضات أصحاب الثورة في المرأة وعلمت أنهم يعاملون مع المرأة معاملة أساتذة المعهد ورجال الشرطة، فتصور حالها ساخرة بقولها:" كان علي أن أستشيره في لون القميص الذي أرتديه، وكثافة المياه التي أشربها، وحجم الابتسامات الخافتة"١. فاتضحت لها أن الثوري لا يختلف عن أي رجل تقليدي. ثم أخذت تحب "شاهرا" وهو كان أحد المناضل الفلسطيني الكادح الذي كان ينتمي إلى الثورة، فجعلت حبها له مناقضا للأعراف والتقاليد البالية والعادات القديمة، وأعلنت أن ثورتها ضد الحب الرومانسي والزواج التقليدي بكل أشكاله، وأنها كانت تثير في حبها لشاهر أسئلة عديدة محيرة من أمثال: لماذا تحبني يا شاهر؟ هل هي قصة جديدة أستعيرها لأهرب بها من مواجهة الواقع وهذا العالم الذي يرعيني بشروره الأسطورية؟ وكيف سأعرف إذا كنت تختلف حقا عمن عرفتهم قبلك؟ هل هو الحنان المتفجر الذي يصير حبا بالامتلاك وليس رغبة في تملك الآخر؟ لماذا كان الحب قصصا مجنونة تمتلئ بالسخرية من الناس والقفز فوق أسوار مزيفة؟"٢.

على كل حال قدمت هذه الرواية من خلال شخصية "جنان" إشكاليات قضية المرأة بوصفها هوية وأيديولوجية جنسية وكيان اجتماعي تاريخي يعاني من الاغتراب داخل بنية المجتمع وداخل التنظيمات الثورية. انتقد أحمد الحميدي على مؤلفة الرواية قائلا:" إنها تجعل الذاتي الأنثوي يطغى على الموضوعي بدلا من أن تتحصن

---

١ نفس المصدر، ص٢٣

٢ نفس المصدر، ص٣٦ وما بعدها

المرأة بالتاريخي وتبحث عن موقعها الحقيقي، فأنها تضيع في الهامشي واليومي المغترب"١.غير أننا لا نتفق مع رأي أحمد الحميدي وذلك لأن جنان تحولت عن العقدة الأنثوية إلى الثورة الفلسطينية بنفسها، وهذه من أكبر ميزة إيجابية في سياق بناء المرأة الجديدة عند ليانة بدر.

إضافة إلى ذلك نجد في الرواية شخصية نسوية أخرى وهي شخصية "شهد الصمدي" وقدمت الكاتبة ليانة بدر من خلال هذه الشخصية نضال المرأة الفلسطينية تجاه الوطن حيث إنها كانت ابنة شهيد عاشت حياة مثقفة رومانسية غير أنها كانت تخاف من جسدها إلى حد أنها ترفض أن تبدل ثيابها أمام الفتيات الأخريات. غيرت حياتها المثقفة المخيفة إلى حياة إمرأة ثائرة جريئة إلى المقاومة الوطنية وناضلة ضد المعاناة والشدائد الفلسطينية ومجاهدة لنيل الاستقلال والتحرر من براثن الاستعمار اليهودي عندما نشأت بينها وبين أستاذها ماجد عبد الباهي في المعهد علاقة عاطفية خلال مدة دراستها هناك، حيث أن ماجد عبد الباهي كان خريجا من أكسفورد، وكانت شهد الصمدي تتمنى أن يحبها ويتزوجها مؤمنة بأنه مثقف وذكي سوف يعامل معها معاملة رجل مثقف لا يقيدها بقيود ولا يحددها بحدود غير أن معيشة ماجد عبد الباهي في أوربا جعلته لا يرى في الفتاة إلا أنثى لها جسد شهي ولا يتقبل أن تكون الفتاة مثقفة ومتحررة من التقاليد والقيود والعادات فعندما نشأت بينهما علاقة عاطفية اكتشفت أمام شهد الصمدي أنه رجلا انتهازي متناقض لا يعجبه المرأة ولا يحبها حبا خالصا فهربت شهد الصمدي وخلصت نفسها منه وشاركت بعد ذلك في معركة أيلول١٩٧٠م وأصرت على التحدي والحرية وناضلت مع الرجال مناضلة قوية لنيل الحرية والتخلص من القيود البالية على نحو ما نعرف من هذا الاقتباس: "أطرق الإسفلت بكعبي حذائي، وأمشي وأنا أتمنى لو

١ أحمد الحميدي: المرأة في كتاباتها، ص٢٧

أجعلهم يدركون أنى حرة،..حرة.. رغم متابعتهم وأحذيتهم وتقاريرهم حرة رغم كل شيئ"١.

على كل ذلك قدمت الكاتبة ليانة بدر خلال هذه الشخصية صورة ناطقة عن تحرر المرأة الفلسطينية ومعاناتها الاجتماعية كما أنها تصور من خلال ذلك نضال المرأة تجاه القضية الفلسطينية حيث إن هذه الشخصية شاركت في معظم فروع النضال الفلسطيني حتى أنها كانت ترفض أن تتزوج من رجل مثقف ثري صاحب الكرش والبيت الفخم والسيارات المتنوعة من أجل النضال والبحث عن الحرية لأنها تريد أن تبقي متحدية ثائرة يمتلكها حب عظيم يشدها إلى الوطن دون غيرها.

وكذلك نجد في الرواية شخصية نسوية أخرى وهي شخصية "ثريا" التى كانت تقيم في نابلس بفلسطين وتعمل في دائرة آثار إسرائيلية، إنها أيضا تعاني أزمات كثيرة من قبل طبقات الرجال العمال ولا سيما من قبل "ماتي" ابنة رئيس القسم، حيث إنها كانت دائما تستفزها قائلة إن نساء فلسطين أدنى حضارة وأسفل ثقافة ولا يليق بهن أن يعشن في فلسطين. وتزداد أزمة "ثريا" عندما رأت أن أمها تخيط الملابس للناس وتكسب بها كفاف عيشتها بينما تزوج أبوها من إمرأة أخرى ويشترى لها أجمل الأثواب وأروع الملابس. وشكلت هذه العقدة في نفس ثريا حالة خوف وبغضة ونفرة من الرجال إلى حد أنها كانت تخاف من محبها جعفر وتبغض منه إلى أن قتل جعفر في إحدى العمليات العسكرية ضد الاحتلال وأنقذت نفسها من التورط في علاقة عاطفية مرفوضة اجتماعيا ومخيفة ذاتيا ولم تزل تجرى ثريا على هذه الحالة المخيفة والبغيضة من الرجال إلى أن انخرطت في المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الصهيوني وناضلت مع العدو مناضلة قوية حتى أصبحت صوتا ثوريا بين المتظاهرين والمناضلين.

وأما شخصية "سمر" فهي شخصية نسوية أخري وقدمت الكاتبة ليانة بدر من

---

١ ليانة بدر:بوصلة من أجل عباد الشمس، ص٢٨

خلال هذه الشخصية صورة نسوية أخرى وهذه الصورة تختلف تماما عن الصور النسوية التى رأينا في شخصية جنان وشهد وثريا حيث إنها كانت تسكن في أمريكا وتبيع عطر فرنسي شهير مع زميلاتها وصديقاتها وكان زوجها يقدم لها هدايا ثمينة وملابس رائعة، ويذهب بعد ذلك إلى إمرأة أمريكية أخرى ويتلاعب معها حيث ما شاء. ولعل الكاتبة ليانة بدر تصور من خلال هذه الشخصية صورة المرأة المتحررة وتعبر من خلالها عن آمال المرأة الفلسطينية وأحلامها وهمومها مركزة الاهتمام البالغ إلى إزالة المشاكل والأزمات والمصائب الاجتماعية التي عانت المرأة الفلسطينية ومشيرة إلى أحاسيسها ومشاعرها النفسية، ولذلك نجد الكاتبة ليانة بدر تنتهى الرواية بنهاية مفتوحة ممتلئة بحركية المرأة الفلسطينية المنتمية إلى الثورة والمتحررة من أنوثتها الحريمة السلبية حيث تبقي جنان منخرطة في صفوف المقاومة في المخيمات الفلسطينية كممرضة ومعلمة وصحفية منتظرة أن يصحو حبيبها شاهر من غيبوبته. كذلك تخوض ثريا في نابلس بفلسطين انتفاضة المظاهرات بعد أن كانت ترفض الانخراط في أي نشاط وطني قبل ذلك. مثل ذلك تستمر شهد الصمدي ثائرة غير مستسلمة لضغوطات أمها وخالها.

نتائج البحث

على كل ذلك لقد اتضحت لنا مما سبق أن هذه الرواية تعالج موضوعات اجتماعية واقعية للمرأة الفلسطينية حيث إنها تنزف بمعاناة المرأة الذاتية بفعل حضور الاحتلال من جهة وبفعل غياب الرجل الإيجابي من حياة المرأة الفلسطينية من جهة أخرى. وان الفكرة الرئيسية التي عكستها الكاتبة ليانة بدر في هذه الرواية ممثلة المرأة الفلسطينية هي التمرد على الدور الأنثوي، حيث جعلت بطلاتها يعانين معاناة كثيرة متعددة غير أنهن لا يفقدن شدتهن واعتدالهن فبقي انتمائهن صلبا من خلال الانتماء إلى الثورة التي تحقق بها إنسانية رغم وجود سلبيات كثيرة في الثورة

نفسها١. إن الرواية تكشف بالعموم حب الكاتبة ليانة بدر لفلسطين ولعل هي أول رواية لكاتبة فلسطينية تحتوي على شخصيات نسوية تتجلى في كلها حرارة وطنية صميمة بجانب القضايا الاجتماعية النسوية الفلسطينية. فالرواية تؤرخ أوضاع فلسطين مبرزة شخصياتها من أماكن مختلفة. وكذلك لا حظنا أن الرواية تصور صورة صادقة ورائعة عن الثورة الفلسطينية بطريقة تصوير مواقف أبطال الرواية تجاه الثورة. ومن أبرز الصور النيرة للثورة الفلسطينية في هذه الرواية هو روح التضامن والاجتماع التي بثتها الكاتبة خلال معاناة شخصيات الرواية النسوية من أمثال جنان وشهد الصمدي وثريا وما إلى ذلك ومن خلال علاقات الأبطال والحادثات بعضها ببعض. نالت الرواية أهمية كبرى ليس من قيمتها الفنية فحسب بل انما تعود أهميتها إلى ما مثلتها من وعي إنساني ومشاعر نسائي فلسطيني بلوحة فنية طريفة معتمدة على تكنيك لعبة السرد الشعرية على حد تعبير الدكتور حسن مناصرة حيث هو يقول:" ان الرواية تعتمد على حركية بناء الرواية على تكنيك لعبة السرد الشعرية من خلال تقاطعات كثيرة متداخلة الأحداث والأماكن والأزمنة على طريقة الحكي داخل الحكي مما يؤكد على أن الكاتبة نجحت في بنائها الروائي نجاحا باهرا"٢.

المصادروالمراجع:

١. ليانة بدر: بوصلة من أجل عباد الشمس، ط، بيروت ١٩٩٨م

٢. د.حسن مناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، ط، دار الكتاب بيروت ٢٠٠٦م

١ د.حسن مناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية ٢٨٢ وما بعدها

٢ د.حسن مناصرة: المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية،ص٢٧٥

٣. د. علي عبد الحكيم محمود: نشأة القصة العربية وتطورها بين العصور. ط، دار المعارف القاهرة بدون تاريخ

٤. د. عمر الطيب: الفن القصصي في الأدب العربي الحديث الجزء الأول. ط، مكتبة الأندلس بغداد ١٩٧١م.

٥. فاروق خورشيد: في الرواية العربية عصر التجميع. ط، دار الشروق بيروت ١٩٦٥م.

٦. محمد مهدي الأنصاري: الاتجاهات السياسية والاجتماعية في القصة المصرية الحديثة. ط، مركز دراسات آسيا الغربية جامعة علي كراه الإسلامية الهند بدون تاريخ.

٧. يوسف نوفل: الفن القصصي بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.